

13- ضياع الأمانة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا ضيغت الأمانة فانتظر الساعة" قال : **كيف إضاعتها يا رسول الله؟** قال : إذا أنسدَ الأمْرَ إِلَى غَيْرِ أهْلِهِ فَأَنْتَظِرِ السَّاعَةَ" صحيح البخاري. وبين النبي صلى الله عليه وسلم كيف تُرفع الأمانة من القلوب، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثراها.

وعن حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: "يَنَامُ الرَّجُلُ التَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظْلِلُ أَثْرَهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ التَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظْلِلُ أَثْرَهَا مِثْلَ أَثْرِ الْمَجْلِ، كَجْمَرٍ دَحْرَجَهُ عَلَى رَجْلِكَ، فَنَفَطَ فَتَرَاهُ مُتَبَرِّاً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ" ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، فيصبح الناس يتباينون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقول: إن في بني دلان رجلاً أمناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه، ما أعقوله، وما في قلبه مثقال حبة من خردك من إيمان. ولقد أتي على زمانٍ وما أبالي أيكم بايَّعتُ، لئن كان مسلماً ليردنه على دينه، ولئن كان نصراانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبایع منكم إلا فلاناً وفلاناً" متفق عليه

معنى الحديث: أن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زال نوره وخلفه ظلمة "الوك" وهو أعراض لون مخالف اللون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار "المجل" وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاد الظلمة إياه بجمري يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبيقى النطف وأخذه الحصاة ودحرجته إياها أراد به زيادة البيان والإيضاح والله أعلم. ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس من إマرة وخلافة وقضاء ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسخيرها والمحافظة عليها، لأن في ذلك تضييعاً لحقوق الناس، واتسخافاً بمصالحهم، وإيغاراً لتصورهم، وإثارة للفتن بينهم. فإذا ضيغ من يتولى أمر الناس الأمانة - والناس تبع لمن يتولى أمرهم -، كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاية صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم. ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون عند غلبة الجهل، ورفع العلم.

41. قبض العلم وظهور الجهل

ومن أشراطها قبض العلم وفسو الجهل، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أشرطة الساعة : أن يرتفع العلم ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا . وروى البخاري عن شقيق، قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بين يدي الساعة للأيام، يتنزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج والهرج: القتل . وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتنة، ويلقى الشح، ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل . وفي رواية: يتقارب الزمان، وينقص العلم . وفي رواية: لم يذكرها: ويلقي الشح . قال ابن بطال: "وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشرطة قد رأيناها عينانا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقى الشح في القلوب، وعمت الفتنة، وكثر القتل".

أن الذي شاهده كان منه الكثير، مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك، حتى لا يبقى ما يقابل إلا النادر، وإلي الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إن الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم،

لأنهم يكونون حيث مغمورين في أولئك

واعلم رحمة الله بأن قبض العلم يكون بقبض العلماء، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ إِنْتَرَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنَّ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعَلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَقِنْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رَمْوَسًا جَهَالًا، فَسَلَّوْا فَاقْفَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلَّوْا وَأَضَلَّوْا" البخاري.

قال النووي: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محظوظ من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حملته، ويتخاذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم، فيضلون ويُضللون" شرح مسلم.

والمراد باعلم هنا علم الكتاب والسنّة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم وتموت السنّة، وتظهر البدع، ويعم الجهل. وأما علم الدنيا، فإنه في زيادة، وليس هو المراد في الأحاديث بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "فَسَلَّوْا فَاقْفَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلَّوْا وَأَضَلَّوْا"، والضلالة إنما تكون عند الجهل بالدين، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعلمون بعلمهم، ويوجهون الأمة، ويدلّونها على طريق الحق والهدى، فإن العلم بدون علم لا فائدة فيه، بل يكون وبالاً على صاحبه.

قال الذهبى: بعد ذكره لطائفة من العلماء، "وما أتوا من العلم إلا قليلاً، وأما اليوم، فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، فيناس قليل، ما أقل من يعلمون بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل" تذكرة الحفاظ.

وهذا في العصر الذهبي، **فما بالك بزماننا!!** فإنه كلما بعد الزمان من عهد النبوة، قل العلم، وكثُر الجهل، فإنه الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعلم هذه الأمة، ثم التابعين، ثم تابعيهم، وهم خير القرنين، كما قال النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ الْقَرْوَنِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلْوَنُهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَشَهُدُونَ وَلَا يُسْتَشَهُدُونَ، وَيَنْدَرُونَ وَلَا يَوْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ" البخاري.

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن خيرَ القرُون فرنَهُ الذي هو فيه وهم الصحابة، ثمَّ الذينَ يَلْوَنُهُمْ وهم التَّابِعُونَ، ثمَّ الذينَ يَلْوَنُهُمْ وهم أَتَبَاعُ التَّابِعِينَ، ثمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنْدَرُونَ وَلَا يَفْعُونَ، وَيَخُونُونَ خِيَانَةً ظَاهِرَةً؛ بِحِيثُ لَا يَأْمُنُهُمْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَشَهُدُونَ وَلَا يُسْتَشَهُدُونَ، أَيْ: يَتَحَمَّلُونَ الشَّهَادَةَ بِدُونَ التَّحْمِيلِ، أَوْ يُؤْدُونَهَا بِدُونِ الْطَّلْبِ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ، أَيْ: كَثْرَةُ الْلَّحْمِ، أَوْ هُمْ يَتَكَبَّرُونَ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الشُّرُفِ، أَوْ يَجْمِعُونَ الْأَمْوَالَ أَوْ يَغْفِلُونَ عَنْ أَمْرِ الدِّينِ.

وقد روى حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشِيُّ الثَّوْبِ حَتَّىٰ لَا يُدْرِسَىٰ مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صِدَقَةٌ، وَلِيُسْرِى عَلَىٰ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَقِنُ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبَقَّى طَوَافُ الْأَنْصَارِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلْمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا فَقَالَ لَهُ صَلَةٌ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صِدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَةً، كُلُّ ذَلِكَ يَعْرُضُ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَةُ، شُجِّيْهُمْ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَةً" ابن ماجه.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لَيَتَرْعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ يُسْرِي عَلَيْهِ لِيَلَّا فِي ذَهَبٍ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ فَلَا يَقِنُ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ)

قال ابن تيمية: يُسْرِي بِهِ فِي آخرِ الزَّمَانِ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَالصَّدُورِ فَلَا يَقِنُ فِي الصَّدُورِ مِنْهُ كَلْمَةً، وَلَا فِي الْمَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفَ).

وأعظم من هذا أن لا يذكر اسم الله تعالى في الأرض كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يَقُولَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ).**

قال ابن كثير: في معنى هذا الحديث قولان: أحدهما: أن معناه أن أحداً لا ينكر منكراً، ولا يزجر أحداً إذا رأه قد تعاطى منكراً، وعبر عن ذلك بقوله: (حتى لا يقال: الله الله)، كما في حديث عبد الله بن عمرو (فيبيقي فيها عجاجة لا يعرفون معرفة ولا ينكرون منكراً).

والقول الثاني: حتى لا يذكر الله في الأرض، ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسق والعصيان"

كثرة الشرط وأعوان الظلمة -15-

روى الإمام أحمد عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ أَوْ قَالَ يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْبَاطٌ كَانَهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ، يَغْدُونَ فِي سَخْطِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي غَضَبِهِ".

والمراد بهم: من يتولى ضرب الناس بغير حق من ظلمة الشرط أو من غيرهم ، سواء كان ذلك بأمر الدولة أو بغير أمر الدولة . **قال النووي :** فأما أصحاب السياط فهم غلمان الوالي .

وقال السخاوي : " وهم الآن أعوان الظلمة ويطلق غالباً على أقبح جماعة الوالي، وربما توسع في إطلاقه على ظلمة الحكام ". وفي رواية الطبراني في " الكبير": " سِيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شَرْطَةً يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي سَخْطِ اللَّهِ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُ مِنْ بَطَانَتِهِمْ " إتحاف الجماعة .

لم تظهر هذه الشرط وأعوانهم في عصر النبوة عصر الرحمة والعدل ، وإنما ظهرت عندما ابتعد الناس عن الدين وتفشى ظلم الحكام المستبدین، فاتخذوا الشرط والجند والأعونان ليقهروا بهم الرعية ويكتبونهم ويخيفوهم عن المطالبة ببساط حقوقهم على ولاة أمرهم ، ولكن لينتظروا من الله هذا الحديث : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** " اللَّهُمَّ مَنْ وَلَيَّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَأَشْقَقْتِهِمْ وَمَنْ وَلَيَّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَأَرْفَقْتِهِمْ " رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : **قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صِنْفَانٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ .. "** مسلم .

قال النووي : وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فأما أصحاب السياط، فهم غلمان والي الشرطة" شرح مسلم . والشرط وأعوان الظلمة مذمومون في كل مكان وزمان، وقد كثرت في كثير من هذه الأمة فيبطشون بالناس بالسياط والعصي في غير حق شرعى فرجال الشرطة وأعوان الظلمة الذين يعذبون الناس بالسياط وغيرها، ويل لهم من رب الناس يوم القيمة، **وقال تعالى {وَلَا تَخْسِنَ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}** إبراهيم:24.

يقول الله تعالى {إِنَّمَا السَّيِّلَ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} الشوري:24.

ويقول عز وجل {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ ثُمَّ لَا تُنَصَّرُونَ} هود:31.

ولا تركنا : أي لا تميلوا إلى الذين ظلموا بمودة أو مداهنة أو رضاً بأعمالهم المجرمة ، فتصييكم النار وما لكم من دون الله من أولياء أو ناصرين يحفظونكم وينصرونكم منه يوم القيمة وربما في هذه الحياة الدنيا ، فيقع عليهم العذاب والنکال جزاء أعمالكم الظالمة ، ولن يمنعكم أحد من عذابه وانتقامه يوم تعرضون عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم لأنبيه هريرة: " إن طالت بك مدة أو شكت أن ترى قوماً يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر" مسلم . وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون عليكم أمراء هم شر من الم Gors" رواه الطبراني في الصغير .

ويل للظلمة من ناصر المظلومين يوم القيمة، مر هشام بن حكيم بن حزام على أناسٍ من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: **مَا شَانَهُمْ؟ قَالُوا حُبُسُوا فِي الْجَزِيرَةِ، فَقَالَ هشام: أَشَهَدُ لَسْمَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يَعْذِبُ الَّذِينَ يَعْذِبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا " رواه مسلم .**

وقد أصبح هذا الظلم معروفاً ومنتشرًا في كثير من بلاد المسلمين، فها هي السجون تعج بالمظلومين ومن يعذبون أشد

العذاب، ويعاقبون أشنع العقاب ، تعذيب لم يشهد له التاريخ مثيلاً، بل ويصل الأمر إلى قتل المسلمين ظلماً وعدواناً، فويل لمن ظلمهم وضربهم وقتلهم، قال الله تعالى : { نَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُوهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ } آل عمران 12 ، لقد أصبح دم المسلم رخيصاً اليوم ، بسبب تخلٰي الناس عن دينهم وانسلاخهم عن إنسانيتهم ، يقول الله تعالى : { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } الشعراة: 722، المسلم عظيم عند الله عز وجل ، رفيع مقامه ، عزيز مكانه ، فمن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَرَوَالُ الدِّنَّى أَهُونُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ " رواه الترمذى.

وللحديث بقية

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 15/07/2020

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com